هو العلم

# دروس من حياة آية الله الشيخ حسين الحلّي

رضوان الله عليه

بحث منتخب من آثار الأعلام
إعداد: الهيئة العلمية في موقع مدرسة الوحي

@MadrastAlwahy

**بسم الله الرحمن الرحيم**
**الحمد لله رب العالمين**
**وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين**
**واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين**

## امتياز بصفاء النفس والإحاطة العلميّة والثقافة المعاصرة

لقد كان المرحوم العلّامة الطهرانيّ رضوان الله عليه في حياته يتحدّث عن هذا العالم الجليل القدر، ويذكر على وجه الخصوص نيّته، ويمتدح قدرته العلميّة واطّلاعه الواسع على المباني والفروع، وإحاطته العجيبة بأحاديث المعصومين عليهم السلام وآثارهم، وذلك بالإضافة إلى إشرافه على التاريخ والتفسير والكلام، ووقوفه على الأفكار المعاصرة التي كانت تُطرح في زمنه والقضايا التي جاءت من ثقافة الغرب وحضارته. وكان يرى أنّ هذه المسألة أثّرت في تشكّل هذه القوّة وإدراكه المتين، وإتقانه للمسائل والمباني. وكان المرحوم الوالد يتعجّب من مطالعاته للكتب الماركسيّة وعقائدهم، وكذلك الاطّلاع على المباني الواهية والخرافيّة لدارويْن وفلسفته حول كيفيّة خلق الإنسان. وبشكل عامّ الاطّلاع على مباني الدهريّين كلّها.

يقول السيّد الوالد:

«ذهبت يوماً إلى منزل بعض الإشكالات التي كانت لديّ وفي أثناء البحث، وبمناسبة ما، دلّني على صندوق كبير، فلمّا فتحه رأيت أنّ أغلبها كتابات وأوراق كان المرحوم الوالد قد جمعها لنفسه، وقال لي: هذا الصندوق من المؤلّفات الخطّيّة».

وكان سماحته عجيباً كذلك في تضلّعه بالتاريخ، وبالأخصّ تاريخ الإسلام، حيث كان يستشهد في دروسه الفقهيّة والأصوليّة ببعض النكات التاريخيّة الدقيقة؛ لإثبات كثيرٍ من المطالب المعيّنة.

وأمّا تضلّعه في الفقه والأصول؛ فكان جارياً على كلّ لسانٍ من ألسنة أهل الفنّ في حوزة النجف، فقد كان من أبرز تلامذة المرحوم النائينيّ قدّس سرّه، بل كان الكثير من العلماء يرجّحونه على أساتذه. وقد وصلت دقّة نظره وإحاطته بالمدارك الفقهيّة أحياناً إلى حدٍّ يثير الإعجاب، فكثيراً ما كان يأتي أثناء بحثه برواية أو كلامٍ من أبحاثٍ أخرى؛ لم يكن أحدٌ يتوقّع أن يكون لها دخالةٌ في إثبات المطلب الذي هو فيه أو تأييده. وفهم هذه النكتة مما لا

يتيسّر لغير الخبراء بمباني الاستنباط والمجتهدين المتضلّعين، وسوف نُشير إلى مواطنها في هوامش هذا الكتاب إن شاء الله.[1]

[يقول العلّامة الطهراني رضوان الله عليه في كتابه "ولاية الفقيه في حكومة الإسلام":]

كان أستاذنا آية الله الشيخ حسين الحلّي رجلًا عظيمًا من النادرين، وقد انفرد وتفرّد في العلم والتقوى والزهد والإعراض عن الرئاسات الدنيوية، وكان رجلًا محقّقًا يحتاج جميع العلماء إلى علمه وفهمه ودرايته.[2]

[ويقول أيضًا عن أستاذه الشيخ الحلّي:]

لا أتمكّن -حقًّا- القول بأنّ الشيخ حسين الحلّي كان أقلّ من هذه الناحية العلمية من العلّامة الحلّي. لقد كان هذا الرجل دقيقًا إلى درجة أنه عندما كنّا ندرّس عنده كتاب الطهارة (لقد درست عنده عدا الأصول دورة مكاسب وقدرًا من كتاب الطهارة، وكتبتُ تقريراته) جاء برواية من باب ديات «مفتاح الكرامة» كشاهد على المطلب، وما يلفت النظر هو: ما هي المناسبة بين باب ديات «مفتاح الكرامة» وباب الطهارة؟

لقد كان عالمًا متضلّعًا، خبيرًا ومنظّمًا، وقام بمطالعة جميع الكتب، سواء كتب العامّة أم كتب الشيعة، وكان يُفهرس مطالبه لنفسه بعد مطالعته لكلّ كتاب، فكان له مثلًا فهرس لكلّ كتاب «تاريخ بغداد» وقد خصّص جزءًا من مكتبته -والتي لم تكن كتبها كثيرة جدًّا- لفهارس تلك الكتب التي قد طالعها، وقد ضبط في تلك الفهارس نتيجة تلك الكتب، مهما كانت سواء لصالح الشيعة أو ضدّهم. وإذا رجع الإنسان إلى هذه الفهارس يعرف الموضع الذي يؤيّد الشيعة من هذا الكتاب والموضع الذي يهاجمهم، ليستعين به عند الحاجة شفاهة أو كتابة على تقدير تأليف كتاب في الكلام مبني على الاعتقادات الرصينة والمتينة عند الشيعة.[3]

## ابتعاده عن حطام الدنيا وحذره من المحيطين به

وأمّا ابتعاده عن المسائل الاجتماعية ومنصب المرجعية والأمور الحسبية، والتزامه التقوى والابتعاد عن حطام الدنيا هو وي النفس؛ فتلك حكاية مفصّلة.[4]

[يقول العلّامة الطهراني رضوان الله عليه في هذا المجال:]

---

1. الدرّ النضيد في الاجتهاد والتقليد والمرجعية، ص ٣٩.
2. ولاية الفقيه في حكومة الإسلام، ج ٢، ص ٢٩.
3. ولاية الفقيه في حكومة الإسلام، ج ٢، ص ٣٢.
4. الدرّ النضيد في الاجتهاد والتقليد والمرجعية، ص ٣٧.

لقد كان والد الشيخ حسين يقيم صلاة الجماعة في الصحن المطهّر لأمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، وبعد وفاته انتقلت إقامة الجماعة إليه رحمة الله عليه، لكنّه قدّم استاذه المرحوم آية الله النائيني، وبعد المرحوم النائيني كان أفضل تلامذته، لكنّه لم يقبل بإقامة الصلاة مكانه، فقام بذلك آية الله الحاج السيّد محسن الحكيم، وأبى الشيخ حسين القيام بهذا العمل، وكان يقول مراراً: إنّ شغلي هو التدريس فقط، فأنا طالب علم. فلم يفتِ، ولم ينشر رسالة عمليّة، ولم يتصدّ لإمامة الجماعة. وأمّا في مجال الدرس والتحقيقات فكان له الباع الطويل في ذلك. وقد كان يتملّك مقدار صندوق كامل من التقريرات والتحقيقات والكتب المستقلّة في الفقه والأصول.[1]

## سبب تردّد الشيخ حسين الحلّي في التصدّي للمرجعيّة

لقد كان السبب في تردّد هذا العظيم في التصدّي لهذا المنصب أو عدمه منحصراً في حفظ كرامة الإسلام وشؤون الشريعة، بل كان هذا هو الهدف المحرّك له في كلّ خطوة خطاها. وفي كلّ مورد كان يتوقّف فيه، كان يرجّح مصالح الإسلام على منافعه الظاهريّة ومصالحه الدنيويّة، ولم يكن يُعير اهتماماً لإغواء أهل الدنيا وإغراء المتملّقين، بل كان يحرص على نفسه أن لا يغلبها الهوى فتتكالب على جيفة الدنيا والرئاسات. ولم يكن يسمح لأحد أن يتدخّل في أموره الخاصّة، إذا كان شديد الحذر من المحيطين به ومن أصحاب بيوت الفتنة.

وكان المرحوم الوالد رضوان الله عليه يحذّر الحقير من الوقوع في مثل هذه الفتنة، ويقول:

«كن شديد المراقبة للمحيطين بك والمقرّبين منك، فهؤلاء المريدون والحواريّون يُرْدون الإنسان في الهاوية من حيث لا يشعر، ويلقون به في طريق الشيطان دون أن ينتبه، وذلك باعتمادهم لطائف الحيل وتشويه الأفكار وبيان خلاف الواقع، ويعملون على تغيير الأحداث وتأويلها بما يتوافق مع ميولهم النفسانيّة، ويحاولون دائمًا بالوسوسة والتملّق والمكر أن يجذبوا ذهن الإنسان ونفسه، ويدنوها من أفكارهم وتلبيساتهم الشيطانيّة، ويقومون في هذا الصدد بأعمال ماهرة ويسلكون سبلًا ماكرة؛ لكي يقدّموا أنفسهم أمام الإنسان كالأب الرؤوف والأخ الشفيق والصديق الرفيق، إلى درجة أنّه لا يعود يحتمل في كلامهم أيّ مكرٍ ونفاق، ولا يتوقّع في تصرفهم أيّ تزوير؛ فيقرّبهم منه ويأخذهم معه في سفره وحضره، ويستفيد من مكرهم وتزويرهم في تنظيم الأمور الدنيويّة وتنسيق النظام الاجتماعي، ويرجّح آراءَهم وأفكارهم على آراء الأشخاص المشفقين البعيدين عن الهوى النفسيّ والهوس الشيطانيّ، فلا يترك مجالًا لنصح الناصحين ووعظ المشفقين أن يترك أيّ أثرٍ عليه، بل يحاول الابتعاد عن اللقاء بهم قدر الإمكان».

---

[1]. ٣١ ص، ٢ ج، موكب الإسلام في الحوزة العلميّة.

فإذا استمرّ أمره بهذا الشكل؛ فلن يطول الأمر به حتّى تتبدّل هذه البقعة الطيّبة، بل قد يسبقهم في الذهاب إلى أسوأ بقاع الأرض تلك الشياطين، وتتحوّل أسوأ بقعة إلى مرتع لهؤلاء المتكبّرين، وعندها سوف يقعون في المهالك والخسران الأبديّ. وفي نهاية الأمر سيصبح من السابقين إلى نار جهنّم وبئس القرار، في مواجهة شدّة الغضب الإلهيّ والمبعدين إلى الورود في نار الجحيم الأبديّ.

## طرد آية الله السيّد عبد الهادي الشيرازي أحد المنتسبين إليه

يقول المرحوم الوالد رضوان الله عليه:

لقد كان المرحوم آية الله السيّد عبد الهادي الشيرازيّ أعلى الله مقامه من جملة أعاظم النجف الأشرف والفقهاء المعروفين فيها، ومن الذين وصلت إليهم المرجعيّة العامّة، وكان قد طوى مراحل في تهذيب النفس وتحصيل الحالات المعنويّة والدرجات الروحانيّة والمكاشفات الباهرة، بحيث أنّه كان في كثيرٍ من الليالي يفقد القدرة على النوم، فيبقى مستيقظاً إلى الصباح؛ بسبب غلبة الواردات الملكوتيّة والبوارق الإلهيّة، فكان يصِل الليل بالنهار بغلبة تلك الجذبات الربانيّة.

هذا عندما شاهد الرجل المنتسبين إليه بعض الذين يتدخّلون في أمور المرجعيّة وكيفيّة علاقاته الاجتماعيّة؛ طردهم من بيته، وأبعدهم عنه، ولم يفتح لهم مجال العودة إلى آخر عمره».[1]

نعم، هكذا كانت سيرة الرجال الإلهيّين الذين كانوا يرجّحون المحافظة على حريم الشرع وصيانته على مصالح هذه الدار الفانية وتعيّناتها، ولم يكونوا يرضون ببيع لؤلؤ الفلاح والحياة الأخرويّة بزبارج الرفاهيّة الدنيويّة واللذّة الشهوانيّة الدنيّة: «بِئْسَ اَوْرُبَ أَيَّامَا قَرِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ حَيَاةً طَوِيلَةً»[2]

## إعراضه عن المرجعيّة ودعمه لمرجعيّة السيّد الحكيم

لقد كان المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ حسين الحلّي أعلى الله مقامه من هؤلاء الأشخاص، فعندما شاهد هذا الرجل العظيم ـ الذي كان يُعدّ بطل ميدان العلم والفقاهة، والشخص الفريد في مضمار المرجعيّة ـ أنّ المرحوم السيّد الحكيم قدّس سرّه قد تقدّم عليه وسبقه في الحصول على هذا المنصب من الناحية الظاهريّة؛ أعرض عن إدامة السعي للوصول إلى المرجعيّة، وأعلن تركه للاستمرار في التصرّفات المؤدية إلى هذه الورطة، وحذّر المحيطين به والمتصدّين لتنظيم هذه المسؤوليّة من الاستمرار في هذه الحركة، وقال:

---

[1] عن كتاب [هو كتاب بطل من شمس الزاهرة] يتناول أحوال آية الله السيّد عبد الهادي الشيرازي، راجع مزيداً من الاطلاع على أحوال السيّد الشيرازي أعلى الله مقامه، ج ١، ص ١٠٥.

[2] نهج البلاغة، خطبة ٢، ج ٢، ص ١٦٠.

إنّ استمرارنا في متابعة قضيّة المرجعيّة يعدّ من الآن فصاعداً سبباً لإضعاف الإسلام وتوهين الدين المبين.

ومع أنّه كان ـ بلا شكّ ـ متفوّقاً قطعاً من الناحية العلميّة على المرحوم السيّد الحكيم، إلّا أنّه صار يُشارك في مجالسه العلميّة، ويحضر جلسات الاستفتاء التي كان يُقيمها، ويُجيب على الرسائل والأسئلة الواردة إليه، وبقي إلى آخر عمره الشريف مؤيّداً ومسدّداً للمرحوم السيّد الحكيم، ومستمرّاً في الحضور في هذه المجالس.[1]

[يقول العلّامة الطهرانيّ رضوان الله عليه في هذا المجال:]

كان أستاذنا آية الله الشيخ حسين الحلّيّ... كلّما سُئل عن مسألة -سواء في وقت الدرس أم خارجه (كأن يُسأل مثلاً عن فتواه ورأيه في بعض المسائل) ينظر إلى السائل ويقول: ما لي -وأنا أحمق- والفتوى؟! إنّ شغلنا ليس أكثر من مطالعة الكتب، والحصول على بعض المطالب، ثمّ نبحث لذلك مع الزملاء!

وكان هذا الرجل الكبير وصاحب الشخصيّة العظيمة، والذي يعتبر -على التحقيق- أفضل من الحاجّ السيّد محسن الحكيم في دقّة النظر وسعة الاطّلاع والتبحّر في الفقه والأصول، حتّى أنَّ نفس السيّد محسن كان يعترف بهذا، وكان [الشيخُ الحليّ] في أثناء التدريس (و بعض دروسه موجودة عندي بتقرير منّي) يأتي ببعض عبارات الحاجّ السيّد محسن الحكيم رحمة الله عليه (بالطبع بصيغة قالَ بَعْضٌ أو قال بَعْضُ مُعاصِرينا من غير أن يذكر «مستمسك العروة») [ثم كان يقوم ببيان كلامه وتحليله ونقده وردّه بشكل جيّد ودقيق جدّاً، ثمّ كان يبيّن الحقّ في المسألة].

ولكنّه في نفس الوقت كان يحضر في بعض مجالس آية الله الحاجّ السيّد محسن الحكيم، وإذا ما جاء أحد ما من بغداد (ممثّل أو وزير أو محافظ) وطلب من المرحوم السيّد الحكيم إذناً بالحضور أو كان له سؤال أو استفتاء، فكان الشيخ الحلّيّ يذهب ويجلس في ذلك المجلس، ويستمع إلى كلامه، ويحلّ مسألته، ويجيب عليها كأيّ شخص عاديّ جدّاً.[2]

## تواضعه أمام الأولياء الإلهيين والعرفاء بالله

وكان المرحوم العلّامة الشيخ حسين الحلّيّ يذكر مراتب الأولياء الإلهيّين والعرفاء بالله بتواضع خاصّ، وكان يرى نفسه لا شيء في مقابلهم، بل كان يعترف بعظمة روحهم وعلوّ منزلتهم وحقارته أمامهم، ويعتقد بأنّ الوصول إلى المدارج الراقية للتوحيد والتجرّد إنّما هو نصيب المنتجبين من العرفاء الشامخين والعلماء بالله وبأمر الله، بينما كان يرى نفسه فاقداً لمثل هذه المراتب من القرب والتجرّد.

---

1. الدرّ النضيد في الاجتهاد والتقليد والمرجعيّة، ص ٣٩.
2. ولاية الفقيه في حكومة الإسلام، ج ٢، ص ٣٠.

يقول المرحوم الوالد رضوان الله عليه:

ـ كان المرحوم الحلّي ـ عند ذكر مقام المرجعيّة العامّة وشروط التقليد في درسه ـ يتطرّق أحياناً إلى ذكر الرواية المعروفة: «مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِناً لِنَفْسِهِ، حَافِظاً لِدِينِهِ، مُخَالِفاً عَلَى هَوَاهُ، مُطِيعاً لِأَمْرِ مَوْلَاهُ، فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقَلِّدُوهُ»[1] وكثيراً ما كانت دموعه تتساقط من عينيه عند قراءته لها، ويقول: هذا المقام إنّما يليق بشأن خواصّ السالكين لا بأمثالي أنا الـ...[2] الذي لا خبر له بهذه المقامات والواصلين إلى الحريم الإلهيّ، بل حذّرنا عن الاغترار بها؛ فهذه المقامات لا علاقة لنا بها، بل نحن نعرف لديه «فهذه المقامات وتحقيقها عن كنهها معرفة لديه».

كانت هذه شمّةً من أحوال المرحوم الحلّي رضوان الله عليه وأوصافه، فقد كان شخصيةً نادرة الوجود في حوزة النجف العلميّة، حيث اتّفق الجميع على تفوّقه العلميّ على أقرانه وأمثاله، ولم يكن لدى أحدهم أيّ تردّد في صفاء باطنه وخلوص أفعاله؛ حتّى أنّ المرحوم الوالد ـ سرّه مقدّس ـ كان يُطلق عليه «العلّامة الحلّي الثاني».

قدّس الله سرّه، ورضوانه عليه، وحشره مع أوليائه المقرّبين، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير جزاء المعلّمين والمربّين، بمحمّد وآله الطاهرين[3].

[ملاحظة: انتخب هذا البحث من المقدّمة التي كتبها سماحة آية الله السيّد محمّد محسن الطهراني ـ حفظه الله ـ على كتاب «الردّ النضيد في الاجتهاد والتقليد والمرجعيّة» وهو عبارة عن تقريرات والده العلّامة الطهرانيّ لدرس أستاذه الشيخ حسين الحلّي، ومن كتاب «ولاية الفقيه في حكومة الإسلام» تأليف المرحوم العلّامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الطهرانيّ ـ رضوان الله عليه، وقد تمّ توثيقه ومقارنته مع المصدر الفارسي من قبل الحسينيّ الطهرانيّ، وتجدر الإشارة إلى أنّ العبارات والهوامش التي بين قوسين هي من الهيئة العلميّة في لجنة الترجمة والتحقيق، وتجدر الإشارة إلى أنّ العبارات والهوامش التي بين معقوفتين من الهيئة العلميّة]

---

1. وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٣١؛ الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٥٨.

2. لقد خجل هذا الرجل الإلهي عن نفسه، لكن لإثبات طهارة نفس هذا الرجل الإلهي عن ذكر ما تلفظ الصريح الذي عبّر به عن نفسه، أرى أن أذكر تلك الكلمة التي بين القوسين من سماحة آية الله بهجت ـ دام ظله ـ حول هذه الجملة: رضوان الله عليه.

3. الردّ النضيد في الاجتهاد والتقليد والمرجعيّة، ص ٤١.